تقرير

خليل حرب
khalilharb66@gmail.com

هل نحن أمام مشهد دولي كالذي مهّد للحرب العالميّة الثانية؟

مضت 87 سنة على اندلاع الحرب العالمية الثانية، الا ان الظروف والصراعات والازمات التي سبقتها ومهدت لها، تحمل الكثير من السمات التي تجري في عالمنا اليوم، خصوصا في ما يرتبط بالحرب الأميركية - الايرانية والاجواء القائمة في المسرح الدولي، مما يثير تساؤلات كثيرين: هل ستندلع حرب عالمية ثالثة؟

اخيرا، التقط الرئيس الاميركي دونالد ترامب المشهد الذي يربط بين عالمنا اليوم وبين سمات الحرب العالمية الثانية، عندما وصف اجراءاته الاقتصادية المدمرة ضد ايران، بأنها تشبه "يوم الانزال" المعروف باسم "D-Day"، في اشارة الى انزال منطقة النورماندي الذي قام به الحلفاء في العام 1944، وشكل نقطة تحول في الحرب، وبداية تراجع القوات النازية.

فمن اجل التعبير عن ضخامة واهمية وخطورة حزمة العقوبات الاقتصادية والمالية التي يفرضها، وصفها ترامب بأنها مثابة "انزال اقتصادي"، وهو تحرك سرعان ما اثار حفيظة الصين مثلا، لأنه يتضمن معاقبة أي دولة أو جهة ترتبط بعلاقات اقتصادية مع الايرانيين. صحيح ان العالم ليس منقسما الى معسكرين متصارعين واضحي المعالم والتنافس العسكري والاقتصادي، مثلما كان قائما ما بين قوى الحلفاء وقوى المحور، الا ان اوجه المنافسة والصدام كثيرة ومتعددة ومتشعبة وآخذة بالتدحرج على ما يبدو. وفيما كانت الحرب الروسية - الاوكرانية مستعرة، اندلعت الحرب في غزة التي لم تتوقف هناك، اذا امتدت شراراتها الاسرائيلية سريعا الى لبنان وسوريا والعراق واليمن، بل وصلت الضربات الاسرائيلية الى سواحل اوروبا وتونس والعاصمة القطرية الدوحة.

وعندما انفجرت الحرب الأميركية - الاسرائيلية الثانية ضد ايران، توسعت النيران لتطال ايضا كل دول الخليج، السعودية والكويت وقطر والبحرين وسلطنة عمان ودولة الامارات، اضافة الى الاردن. وبينما هناك حرب سعودية - يمنية جارية منذ اعوام، الا ان احتقانها انفجر مجددا، وصار يهدد العبور في مضيق باب المندب والبحر الاحمر. حدث كل ذلك، فيما دول اقليمية وعالمية اخرى تشعر بحالة من التوتر والتوجس مما يجري، من تركيا الى مصر الى باكستان والهند والصين، بالاضافة الى دول الاتحاد الاوروبي.

صحيح ان الكثير من طبيعة الاشتباك لا تتضمن عمليات اجتياح وغزو شامل من جانب الدول العظمى، وتدور حول عمليات قصف متبادل وحصار بحري وعقوبات، الا ان الميدان العسكري ليس هادئا بالتاكيد. فغزة جرى اجتياحها وابادتها بشكل يتخطى الدمار في اقصى معارك الحرب العالمية الثانية. وفي الجنوب اللبناني ايضا، ملامح التخريب والتدمير المنهج الذي يرقى الى جرائم حرب، لا يشبه اسوأ مشاهد التدمير قبل نحو 80 سنة، باستثناء ربما ما جرى في هيروشيما وناكازاغي في اليابان بسبب القنبلتين الذريتين اللتين القيتا عليهما.

النقطة الاساسية هنا لا تتعلق بالمقارنة مع تاريخ 1 ايلول 1939 عندما انفجر بركان الحرب الكبرى، وانما بما كان يجري قبل هذا التاريخ ومهد لاشتعال الاشتباك العالمي، من آسيا شرقا، الى افريقيا، وصولا الى الساحة الاوروبية.

فقد كانت هناك حروب اقليمية صغيرة ومتفرقة

ايران والصين

تستحوذ الصين على نحو 90% من صادرات النفط الايرانية، حيث سجلت وارداتها رقما قياسيا بلغ 1.8 مليون برميل يوميا. ويتم غالبا تسويق النفط الايراني وعبوره تحت تسميات ومنشأ دول أخرى (مثل النفط الماليزي أو الاندونيسي) للتحايل على العقوبات، مع السداد بالعملة الصينية عبر شبكة من الوسطاء، مع العلم أن النفط الايراني للصين يباع بأسعار مخفضة.

81 عاماً
تصميم. إنجاز. مثابرة

خلال ثلاثينات القرن العشرين، مهدت للوصول الى الحرب العالمية الثانية، في وقت كانت القوى الكبرى تتصارع على النفوذ والارض والموارد وتتصاعد قوة المانيا مجددا بعدما تعرضت للاذلال والتجويع من جانب القوى الاوروبية التي انتصرت عليها في الحرب العالمية الاولى.

هكذا كنا نرى صراعات مسلحة تتفجر هنا وهناك. فاليابان غزت اقليم منشوريا الصيني في العام 1931، بينما وقفت "عصبة الامم" عاجزة عن احتواء الازمة، تماما مثلما نشهد الآن، فيما يتعلق بالعجز الكبير للامم المتحدة عن احتواء الصراعات والحروب والازمات في انحاء العالم، بما فيها حرب ايران.

كان هناك ايضا غزو ايطاليا بزعامة الديكتاتور موسوليني لاثيوبيا في العام 1935، في اطار توسعه والسيطرة على اراض وموارد جديدة، وكان هناك الحرب الأهلية الاسبانية بين عامي 1936 و1939 حيث تدخلت ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية عسكريا لدعم قوات الزعيم القومي الاسباني فرانكو.

وكان هناك ايضا ما عرف باسم الثورة الفلسطينية الكبرى بين عامي 1936 و1939 احتجاجا على الاحتلال البريطاني وتصاعد سياسة الهجرة اليهودية الى اراضي فلسطين، فيما كانت منطقة الشرق الاوسط تشهد تداعيات تطبيق خطط سايكس - بيكو لتقسيمها والسيطرة عليها. ثم كانت هناك الحرب اليابانية - الصينية الثانية في العام 1937، حيث تفاقم الصراع بين النظام الامبراطوري الياباني والنظام الشيوعي الصيني، فيما تمددت الحروب والغزوات اليابانية لاحقا على دول اسيوية مثل الفيلبين وهونغ كونغ وماليا (ماليزيا حاليا)، وبورما وجزر الهند الشرقية، وفيتنام وكمبوديا ولاوس وكوريا وتايوان، وهو ما ساهم في توسع رقعة الحرب العالمية الثانية وساحاتها.

وكان كل ذلك، الى جانب غزوات هتلر المتفرقة، من اعادة الضم العسكري لمنطقة الراينلاند المنزوعة السلاح على الحدود الفرنسية، ثم ضم النمسا العام 1938، ثم اعتماد بريطانيا وفرنسا وقتها على سياسة الاسترضاء للزعيم الالماني، ووافقتا على منحه السيطرة على اراض في تشيكوسلوفاكيا، ثم وصولا الى غزوه بولندا، مما دفع بريطانيا وفرنسا الى اعلان الحرب على المانيا النازية.

ماذا يقول كل ذلك؟

الى جانب سياسة الاسترضاء التي اعتمدتها القوى الاوروبية الكبرى، وتجاهلها للتوسع الياباني في الشرق الآسيوي، والتمدد النازي في قلب اوروبا،

> **ترامب والـ"D-Day": التنافس والصدام يتدحرجان**

فان الردع الدولي بدا كانه لا وجود له، بما في ذلك من جانب المؤسسات والمنظمات الدولية، ما شجع الدول الطامعة على التصرف بثقة في اعتداءاتها وعدوانها وتوسعها، ثم راحت الازمات والصراعات تتداخل، ممهدة لاندلاع الحرب الكبرى.

هناك شيء يظهر سلوكا مشابها لما يجري الان. فقد ادانت الولايات المتحدة الغزو الياباني للصين في 1937، ثم فرضت عقوبات بحظر على حديد الخردة ووقود الطائرات الى اليابان لشل التها العسكرية، ثم جمدت في العام 1941، الاصول اليابانية تماما وقطعت امدادات النفط بعد احتلال اليابان للهند الصينية الفرنسية، ليتصاعد الصراع مع هجوم اليابانيين على بيرل هاربر لكسر الحصار النفطي، فدخلت الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية بشكل رسمي. يذكرنا هذا بالحصار الاقتصادي الذي يصفه ترامب بمثابة "D-Day" ضد ايران. استعارة لها مغزاها ودلالاتها. وهناك اوجه تشابه مع التجربة اليابانية، حيث تحاول واشنطن الان فرض اجراءات غير مسبوقة لعزل الاقتصاد الايراني وقطع خطوط امداده وتجفيف موارده. اضافة الى ذلك، فان التسويات السياسية والديبلوماسية تنهار وتتعثر، وتعود لغة التهديد بين الطرفين الأميركي - الاسرائيلي من جهة، وبين ايران، فيما يتركز التجاذب منذ اسابيع على طرق التجارة وحرية الملاحة والسيطرة في مضيق هرمز، اضافة الى باب المندب.

وهناك ظواهر تتشابه الآن مع عالم ما قبل الحرب العالمية الثانية. قوة عظمى (الولايات المتحدة) تسطو على دولة حرفيا (فنزويلا)؛ وتهدد بالسطو على بلد آخر (كوبا)؛ وعلى أراضي الاخرين (غرينلاند، وهرمز باعتباره ارض اميركية جديدة)؛ وهناك حرب مستعرة بين روسيا واوكرانيا منذ العام 2022، تكاد بين يوم وآخر تتحول الى حرب روسية - اوروبية بشكل مباشر. وهناك ايضا تأهب صيني لاستعادة جزيرة تايوان، مما قد يضع الصينيين والاميركيين في مواجهة عسكرية مباشرة.

يحدث كل ذلك مع خلفية صراعات عالمية محتدمة للسيطرة على المعادن الحرجة والموارد الاقتصادية اللازمة لصناعات المستقبل، مثل التكنولوجيا المتقدمة والطاقة المتجددة، بما في ذلك الليثيوم والكوبالت والنيكل الاساسية لصناعة البطاريات الحديثة، اضافة الى العناصر المعدنية النادرة ◄

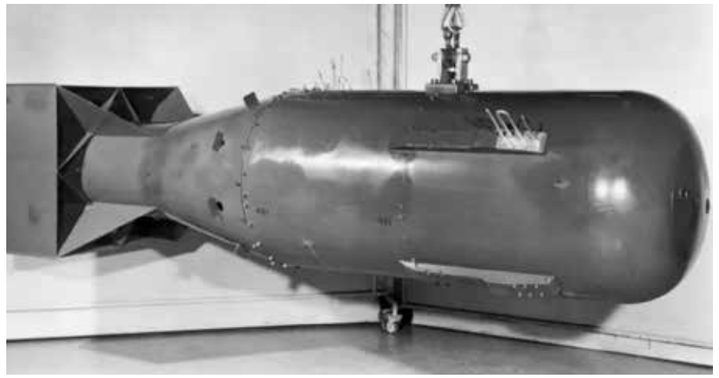

الضرورية لصناعة الالكترونيات والمعدات العسكرية، الى جانب النحاس والغرافيت الضرورية للبنية التحتية الكهربائية والنقل.

ولهذا، فان الاعتماد على التقنيات العسكرية الحديثة والذكاء الاصطناعي يتطلب تأمين سلاسل الامداد، وبالتالي هناك حاجة للسيطرة الاقتصادية والهيمنة على الاسواق العالمية من خلال التحكم بالمواد الخام. ان الصين تسيطر على النسبة الاكبر من عمليات استخراج وتكرير هذه المعادن عالميا، وتستخدم ادواتها الاقتصادية لضمان عقود طويلة الاجل، بينما تحاول الولايات المتحدة، والغرب عموما، كسر الهيمنة الصينية عبر "شراكة امن المعادن" وبناء تحالفات بديلة لتنويع مصادر التوريد المحلية والخارجية، مما يجعل ساحات افريقيا واميركا اللاتينية وآسيا الوسطى، مسرحا للتنافس والصراع المرشح للتفاقم مستقبلا.

بعدما امر الرئيس الاميركي هاري ترومان بالقاء القنبلة النووية الاولى على اليابان في آب 1945، اعلن في بيانه الشهير انه "قبل 16 ساعة، القت طائرة اميركية قنبلة واحدة على هيروشيما... لقد دمرنا فائدتها للعدو. واذا لم يقبلوا شروطنا الآن، فيمكنهم توقع وابل من الخراب من السماء، لم يسبق له مثيل على هذه الارض".

يتشابه منطق الكلام الحربي والتهديدي لترومان، مع ما يفعله ترامب بشكل شبه يومي الآن ازاء ايران، خصوصا وهو يتحدث عن سحقها وتدميرها ومحو حضارتها واخضاعها لـ "شروطه".

الحرب على ايران التي كان يفترض ان ترامب "انتصر" فيها، من جولتها الاولى في حزيران 2025، لم تسدل ستائرها، وذهبت الى جولة ثانية منذ 28 شباط الماضي. ورغم خفوت اصوات قرقعة السلاح، الا أن الاشتباك لم يتوقف، ولا تزال مذكرة التفاهم المبرمة بين واشنطن وطهران تترنح، والمفاوضات الديبلوماسية تنفرج، ثم تدخل طريقا مسدودا سريعا.

في الوقت نفسه، تتزايد اعداد "اللاعبين" المنخرطين. هذه اقصى اماني حكم بنيامين نتنياهو، بان يحول "قضية ايران" الى قضية عالمية تتكافها فيها دول عدة ضدها. صحيح ان ترامب وجد نفسه وحيدا في المعركة ضد ايران (بخلاف نتنياهو)، الا انه تسبب في استدراج العديد من الدول الى المستنقع بشكل او بآخر، خصوصا في دول الخليج، التي اصبحت الاكثر تضررا من تداعيات حربه، فيما تراقب الصين (وروسيا طبعا) بحذر وتوجس ما يجري في الشرق الاوسط.

مؤخرا، جرى الاعلان عن قيام تحالف عسكري بين السعودية وباكستان وتركيا، وقالت ايران انه دليل على انحسار نفوذ الولايات المتحدة في المنطقة. قبل عام، كانت باكستان والهند تخوضان اشتباكا اثار القلق حول العالم، باعتبار انهما من القوى النووية. اسرائيل قررت شن غارات على قاعدة أبو الظهور العسكرية السورية التي لا تبعد سوى 60 كلم عن الاراضي التركية، مرفقة ذلك بتهديدات ضد انقرة وبخطاب تحد لها. وتشكل تحالف اقليمي دولي يضم 14 دولة رعته السعودية، باسم حماية الملاحة البحرية في البحر الاحمر، فيما لم تضع الحرب اليمنية اوزارها منذ اكثر من 10 سنوات.

لكن العالم لم ينقسم الى معسكرين متضادين حتى الآن، ولم تعلن اي قوة عظمى، الحرب الشاملة ضد قوة عظمى اخرى. ومع ذلك هناك قوى صاعدة على المسرح العالمي، والولايات المتحدة تدرك ذلك، وتحاول ابقاء هذا الاحتمال قيد التأخر قدر المستطاع، محاولة احكام قبضتها على موارد نفطية هائلة، او التحكم بمعابرها، ربما يعطيها افضلية في موازين القوى، لكنه لا يمنحها تفوقا دائما، ولا يعني ايضا ان "الشرارة الايرانية" قابلة للاحتواء دائما، ولا ان اللاعبين الدوليين الآخرين، لن يخوضوا من اجل الموارد والمعادن والنفوذ قتالا من اجل بقائهم.

الامارات وايران

تتسبب الحرب الأميركية - الاسرائيلية ضد ايران وتداعياتها، في تدهور العلاقات بين دول ضفتي الخليج. فقد اعلنت الامارات في 19 آب الماضي وقف جميع الانشطة والتبادلات التجارية والمعاملات المالية مع ايران، بعد استهداف سفن تجارية ونفطية تابعة للامارات واطلاق صواريخ ايرانية ضدها، مع العلم ان حجم التجارة بينهما يصل إلى نحو 30 مليار دولار.

ark
Paintings & Frames...

Arz 03-829172 | Ramy 03-617158

Antoine Khalil bldg, Daychounieh,
Mansourieh, Beirut, Lebanon

T/F: +961 4 401757
khalilb@inco.com.lb